

المقدمة

تذخر محافظة البحيرة بالعديد من الآثار المتنوعة والتي ترجع لعصور مختلفة فديها العديد من القطع الأثرية الفرعونية الهامة وعلى رأسها حجر رشيد والذي يزين إحدى قاعات المتحف البريطاني .

وما زالت أرض محافظة البحيرة تـذخر بالعديد من الآثار القديمة الفرعونية واليونانية والرومانية وكذلك هناك عشرات القطع التي توجد بمتاحف مصر تنتمي إلى البحيرة وفي العصر القبطي (أو المسيحي بمعنى أرق) كانت للبحيرة شهرة كبيرة وما زالت توجد بها العديد من الأديرة القبطية الأثرية وذلك في وادي النطرون .

أما عن الآثار الإسلامية فإن محافظة البحيرة لها شهرة واسعة تنبع من اسم وأثار مدينة رشيد والتي تعتبر ثاني أكبر مدينة من حيث عدد الآثار الإسلامية بعد القاهرة. وفي العصور الإسلامية المختلفة أنشئت بلدان البحيرة منشآت متنوعة دينية ومدنية وعسكرية وتجارية وغيرها. ولكن للأسف معظم هذه المنشآت إندثرت ولم يبق منها إلا القليل .

ومن بين هذه المنشآت بل أنها المنشآت الدينية من مساجد وأضرحة وقباب. وكان المسجد هو مركز المدينة أو القرية على مر العصور الإسلامية حيث كان يعتبر المركز الديني والثقافي والسياسي والفكري .

وتحتفظ البحيرة في بلدان قليلة منها ببعض المساجد التاريخية التي تنتمي للقرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجري . إضافة إلى العديد من القباب والأضرحة المتناثرة في القرى والمدن .

لذلك فقد آثرت أن أجمع هذه المساحد والقباب والأضرحة التي تنتمي إلى القرنين ١٢، ١٤ هـ / ١٩، ٢٠ هـ وأقوم بدراستها وتوصيفها وتأصيلها حفاظا عليها من الإندثار أو الزوال دون تسجيل لعناصرها وتاريخها.

ولقد قام أحد الباحثين بدراسة المساجد والقباب والأضرحة بمدينة رشيد وكان معظمها في القرن ١٢ هـ / ١٨ م وبقيت الفترة موضوع هذه الدراسة لم تمتد إليها يد البحث العلمي ، فقد قمت بدراستها دراسة وصفية وتحليلية ، وجدير بالذكر أن معظم هذه المنشآت غير مسجلة بسجلات المجلس الأعلى للآثار وقد قمت برفع هذه المساجد والأضرحة وعمل المساقط الأثنية لها وتصويرها بشكل تفصيلي لدراستها دراسة معمارية وفنية. ولقد تجولت في بلدان البحيرة من مدن وقري وعزب وتوابع سعيأ وراء منشأة دينية توجد هنا أو هناك حتى عثرت وعلى العمائر التي قمت بدراستها.

ولقد أفدت في دراستي هذه من كثير من المصادر الأصلية مثل الوثائق كوثيقة على نغيس الرحمانى ووثيقة نسب الشيخ محمد الغنيمي ووثائق محكمة البحيرة الشرعية ومحكمة رشيد الشرعية المحفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة فقد اعتمدت في هذه الدراسة على أكثر من ثلاث وعشرين وثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية.

كما أفدت كثيرا من المصادر التاريخية الأخرى مثل الخطط التوفيقية لعلى باشا منارك ووصف مصر لعلماء الحملة الفرنسية وترجمة زهير الشايب إضافة إلى كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ، وكان لابد من التعريف بكل بلد بها مسجد أو ضريح أو قبة فكان من الضروري الإفادة من قاموس الجغرافي للأستاذ / محمد رمزي

كما أمدتني أبحاث ودراسات الأستاذ/ حسن عبد الوهاب بمعلومات كثيرة في طرز العمارة بريف مصر وتوقيعات الصناع على آثار مصر.

ولما كان الحديث عن البحيرة ومساجدها وقبابها فكان لابد من الاعتماد على أحد المؤلفات التي تتحدث عن البحيرة وتاريخها وكفاح أهلها وهو كتاب سليم البحيرة للأستاذ/ محمد محمود زيتون .

وهناك بعض المراجع والمؤلفات التي تتحدث بشكل عام عن العمارة والفنون الإسلامية في العصر العثماني مثل " فنون القاهرة في العهد العثماني " للدكتور/ ربيع حامد خليفة وموسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني إلى نهاية عهد محمد علي " للدكتور/ محمد حمزة الحداد والعديد من المراجع والمقالات والأبحاث في الفنون والعمارة الإسلامية.

ولقد واجهت صعوبات عديدة في سبيل إنجاز هذه الدراسة، يأتي على رأسها المساحة الشاسعة لحافظة البحيرة وصعوبة التنقل بين قراها وتوابعها في الشتاء بحفة خاصة كذلك قلة المراجع أو المصادر المتخصصة التي تتحدث عن آثار البحيرة في العصور الإسلامية فلا يوجد من تلك الدراسات سوى رسالة علمية تتحدث عن عمائر رشيد وما بها من تحف خشبية في العصر العثماني " للدكتور محمود درويش " إضافة لأطروحة عن العمارة الحربية برشيد فقط . كما أن هناك بعض المؤلفات الصغيرة غير المتخصصة ولكن عن رشيد أيضا فقط . ولم تمتد يد البحث العلمي الأثري إلى بلدان أخرى من بلدان النخبة .

ولقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب . الباب الأول والثاني يحتويان على الدراسة الوصفية المعمارية والفنية لمساجد وأضرحة البحيرة في القرنين ١٣ ، ١٤ هـ وكذلك العناصر المعمارية والغنية الباقية من المنشآت المدرسة . أما الباب الثالث فقد خصته

لدراسة التحليلية حيث قسمته إلى ثلاثة فصول. الأول منها لدراسة طرز تخطيط المنشآت الدينية بالبحيرة في هذين القرنين ، والفصل الثاني يحتوى على دراسة تحليلية للعناصر المعمارية والفنية بهذه المنشآت مع بعض المقارنات بالقاهرة والأقاليم وتأصيل لهذه العناصر ، والفصل الثالث خصصته لدراسة التحف الفنية المنقولة وتأصيلها . أما الفصل الرابع فهو خاص بدراسة الزخارف والكتابات حيث تحدثت فيه عن أنواع الزخارف التي استخدمت في هذه المنشآت من زخارف هندسية ونباتية وكتابية مع تأصيلها ، ثم تحدثت عن الكتابات الواردة بهذه المنشآت وذلك من حيث الشكل والمضمون وما الذي أفادت به هذه الكتابات ثم أنيبت الدراسة بالخاتمة ونتائج الدراسة وذيلة الدراسة بمعجم للمصطلحات المعمارية والفنية ومعجم للألقاب والوظائف الواردة بالدراسة .

وأخيرا أقدم شكري وتقديري إلى كل من مد لي يد العون والمساعدة حتى انتهيت من هذه الدراسة . وأخص بالشكر والتقدير والعرفان أخي وصديقي أ.د / جمال خير الله أستاذ الأثار الإسلامية المساعد بجامعة طنطا وكفر الشيخ .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل

المؤلف

د/ عبد الله الطحان

تـمـمـير

تعتبر محافظة البحيرة من الأقاليم الإدارية الهامة في مصر، حيث لعبت مدنها وقراها أدواراً هامة في مراحل التاريخ المصري المختلفة بدءاً من العصر الفرعوني مروراً بالعصر اليوناني والروماني ثم العصر القبطي (المسيحي) والعصر الإسلامي بجميع فتراته وعهوده المختلفة حتى القرن الثالث عشر والرابع عشر من الهجرة النبوية الشريفة.

ولقد أنشئت ببلدان البحيرة - في العصر الإسلامي بمراحله المختلفة - منشآت دينية متنوعة كان أهمها المساجد ثم بعد ذلك القباب والأضرحة والمشاهد لآل البيت والأولياء والصالحين، حيث سكن بعض آل البيت عديداً من بلدان البحيرة وماتوا ودفنوا بها.

وشهدت عمارة المساجد في بلدان البحيرة - تطورات عديدة في العهود الإسلامية المختلفة، حتى كان العصر العثماني والذي شهد اهتماماً كبيراً بعمارة المساجد، وانتشار بناء القباب والأضرحة. ولكن غالبية المساجد والجوامع الأثرية الباقية بالبحيرة - التي ترجع للعصر العثماني حتى نهاية القرن ١٢هـ / ١٨م قد تم هدمها وتجديدها، ولم يتبقى منها سوى مساجد مدينة رشيد وأضرحتها.

وفي القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي انتشر بمساجد البحيرة نوعان من التخطيط وهما :-

١. التخطيط التقليدي ذو الإيوانات مع الصحن أو درقاعة.
 ٢. تخطيط الأروقة الموازية أو المتعامدة على جدران القبلة دون صحن أو درقاعة.
- ومن خلال الوثائق استطلعت حصر بعض المساجد في بلدان مختلفة ترجع للقرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ولكنها هدمت وجددت في فترات لاحقة حتى القرن ١٣هـ / ١٩م، ومن هذه المساجد :-

جامع سويد ببلدة ششت الأنعام (١١٠٢ هـ / ١٦٩٠ م) (١)

جامع العمري بالرحمانية (١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م) (٢)

جامع المحسنين بدمنهور (١١٩٨ هـ / ١٧٨٣ م) (٣)

جامع سيدي شرف الشرنوبى ببلدة شرنوب (١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م) (٤)

جامع سيدي شعبان بدمنهور (١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م) (٥)

جامع سيدي محمد البلقطنى ببلدة بلقطن (١١٩٩ هـ / ١٧٨٤ م) (٦)

وجميع هذه المساجد أو الجوامع - كما سبق ذكره - تم تجديدها عدة مرات ولم يتبق من عناصرها المعمارية والفنية التي ترجع للقرن ١٢ هـ / ١٨ م أي أثر حيث تم تحديثها في النصف الثاني من القرن ٢٠ م.

إضافة إلى المساجد والجوامع السابقة هناك الجامع الكبير بدمنهور والمعروف بجامع المرادنى والذي يرجع إنشأؤه إلى النصف الأول من القرن ١٠ هـ / ١٦ م أي بداية العصر العثماني حيث تبقى منه من هذا التاريخ منبره المؤرخ بتاريخ ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م (٧)، وكان تخليطه عبارة عن أروقة موازية ومتعامدة على جدار القبلة وصحن، ومازال التخطيط موحوداً حتى الآن ورغم تجديده حديثاً لأن التجديد تم على طرازه القديم. وكان هذا المسجد قد مر بمراحل عديدة من التجديد حتى قام محمد على باشا والى مصر بتجديده في عام (١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م).

(١) سجلات محكمة البحيرة الشرعية س رقم ٢٧ وثيقة رقم ٣٢٥ ص ١٧١ بتاريخ ١١٠٢ هـ.

(٢) س ٩ وثيقة رقم ١١ ص ١٩٥ بتاريخ ١١٨٤ هـ.

(٣) س ٣٥ وثيقة رقم ٢٤٠ ص ١١٦ بتاريخ ١١٩٨ هـ.

(٤) س ١ وثيقة رقم ٦٥ ص ٢٧-٢٨ بتاريخ ١١٩٩ هـ.

(٥) س ٥ وثيقة رقم ١٩٦ ص ١١٦-١١٧ بتاريخ ١١٩٩ هـ.

(٦) س ٢ وثيقة رقم ١٩٦ ص ١١٦-١١٧ بتاريخ ١١٩٩ هـ.

(٧) عبد الله الطحان : انكبات الأثرية بمحافظة البحيرة في العصر الإسلامي حتى نهاية ق ١٩ م ص ٧٠، ٧٣ مخطوط ماجستير كلية الآداب ، جامعة طنطا ٢٠٠٠ م

- " " " : النقوش الكتابية على العناصر الدينية (دراسة تطبيقية على آثار مدينة رشيد والبحيرة) ص ١٣٢-١٣٧ ، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع - سوق / ٢٠٠٦ م ..

وكان هناك مسجد أبو شوشة بديروط والذي أنشئ في بداية العهد العثماني . ثم جدد عدة مرات كان آخرها عام ١١٠٨هـ . ويقى من هذا التجديد المنبر المؤرخ بتاريخ ١١٠٨هـ / ١٦١٦م وكذلك المنذنة .

ولقد بقى من مساجد القرن ١٢ هـ / ١٨م عدد من المساجد تركزت كلها في مدينة رشيد . وحويت هذه المساجد نوعين من التخطيط فمن حيث طراز التخطيط ذو الأروقة والصحن المكشوف - نرى أمثلة له في جامع الجندي (١١٢٣هـ / ١٧٣١م) ، وجامع المحلى (١١٣٤هـ / ١٧٣٢م) ^(١) .

والطراز الثاني من التخطيط هو الأروقة دون الصحن فقد نشئ في تخطيط :
 • دومقسيس (١١١٦هـ / ١٧٠٤م) وجامع الشيخ تقا (١١٤٢هـ / ١٧٦٤م) ومسجد الوجه -
 (١١٤٧هـ / ١٧٣٤م) وجامع المشيد بالنور (١١٧٨هـ / ١٧٦٤م) .

أما بالنسبة لتخطيط القباب والأضرحة فقد تركز الباقي منها في مدينة رشيد أيضاً وكان بعضها ملحقاً بالمساجد مثل ضريح الشيخ نقا ، وضريح الصامت وضريح المشيد بالنور ، والبعض الآخر كان مستقلاً مثل ضريح أبو الريش وضريح الشيخ حمام وضريح الشيخ عبد العال . ولقد ساد نوعان من التخطيط في هذه الأضرحة :-

• النوع الأول يقع داخل حجرة من ثلاثة جدران وقد سُدَّ الجدار الرابع بحجاب من الخشب الخرط به باب وذلك نشاهده في ضريح الشيخ تقا والمشيد بالنور .

(١) محمود أحمد درويش : عمائر رشيد وما بها من تحف خشبية - ص ١٢٦ ، ١٢٧ ، مخطوط ماجستير كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٩م .
 - " " " : المساجد الأثرية برشيد ص ٨ طبعة ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م
 - محمد حمزة الحداد : موسوعة العمارة الإسلامية في مصر من الفتح العثماني حتى نهاية عهد محمد علي المنخل ص ٧٩ دار زهراء الشرق القاهرة ١٩٩٨م ..

• أما النوع الثاني فيتمثل في الضريح الواقع داخل حجرة بها باب من داخل المسجد وتعلوها قبة كما في ضريح الصامت والشيخ عبد العال والشيخ حمام ولكن ينفرد ضريح الشيخ عبد العال بأن سقفه من الخشب ^(١).

ومن حيث العناصر المعمارية فقد اختلفت داخل المنشآت الدينية بشكل العقد الثلاثي الذي اصطلحت وثائق عصر المماليك على تسميته "عقد مدايني" ^(٢) ولكن هذا العقد اتخذ بالمنشآت الدينية في الأقاليم المصرية ومن بينها بلدان محافظة البحيرة شكلاً متميزاً حيث انقسم الفصان السفليان للعقد المدايني بواسطة المخوصات الجصية البارزة إلى أشكال عقود صغيرة أو إلى عقدين أو ثلاثة من العقود المدببة ذات المركزين يرتبطان فيما بينهما بوتريخثني مثل المدخل الشمالي الغربي لمسجد أبي القاسم برشيد ١١٤٢هـ/١٧٢٩م، والمدخل الرئيسي الخارجي لمسجد الصامت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م، برشيد أيضاً، والمدخل الرئيسي لجامع المحلى ١١٣٤هـ/١٧٢١م، برشيد كذلك.

وتعتبر المخوصات الجصية في طواقي عقود المداخل النديل النيبي الناسد عن استخدام المقرنصات التي انتشرت في طواقي عقود المداخل بعمائر القاهرة العثمانية كما هو مرئود في مساجد المصودية ٩٧٥هـ/١٥٦٧م ومسجد البرديني ١٠٢٥هـ/١٦١٦م ومسجد مصطفى ميرزا ١١١٠هـ/١٦٩٧م.

ووجدت بعض المساجد بالبحيرة ذات مداخل بسيطة لا تعلوها عقد ثلاثي وإنما عبارة عن فتحات مستعيلة وذلك مثل مداخل جامع دومتيس برشيد ١١١٦هـ/١٧٠٤م.

(١) محرم - درويش : المساجد الأثرية ص ١٠٨ ، ١٠٩

- سعد حمزة الخداد الموسوعة - المنحل ص ١٣٧

(٢) حنى بويصر : العمارة الإسلامية في مصر عصر الأيوبيين والمماليك ص ٤٨٥ ، مكتبة زهراء الشرق ١٩٩٦م.

وكان المدخل غالباً ما يتوسط الواجهة الشمالية الغربية وإن ظهر في بعض المنشآت مداخل تقع في الواجهات الرئيسية سواء كانت الشمالية الشرقية أو الجنوبية الغربية. كما وجد أحياناً المدخل على طرفي الواجهة مجاوراً للكثبنة أو القبلة الضريحية . وكانت هذه المداخل جميعها من نوع المداخل المباشرة التي تؤدي إلى أروقة بيوت الصلاة والتي شاعت في مصر الإسلامية منذ إنشاء جامع عمرو بن العاص بالفسطاط . وتعلق على فتحات الأبواب مصاريع خشبية بكل منها مصراعان حتى تيسر دخول وخروج المصلين دون ازدحام .

ولقد شيدت معظم العمائر الدينية بالبحيرة في القرن ١٢هـ / ١٨٧٠م من الطوب الأحمر وزخرفت الواجهات بالطوب المنجدر ذي اللونين الأسود والأحمر مع كحلة بارزة^(١) بيضاء ميزت واجهات المنشآت الإسلامية بالبحيرة وخاصة الدينية منها . وربطت بداميك البناء ميد خشبية على أبعاد متفاوتة ورثت العنارة الإسلامية استخداماً عن العمارة الساسانية .^(٢)

وكان لندرة المحاجر في الوجه البحري أثر في استخدام الطوب الأحمر في أعمال البناء في عمائر الإسكندرية ورشيد وفوه ومطوبس وكافة البلاد الواقعة على فرعى دمياط ورشيد^(٣)

ولقد شاع استخدام الطوب المنجور ذي اللونين الأحمر والأسود في طراز الدلتا المعماري المنبثق عن الطراز الأم وهو الطراز المصري المحلي في العصر العثماني . ولعل

(١) استخدم المعمار مع الجص الأبيض في الكحلة البارزة البيضاء مواد كالحمرة والبوص المحروق لتقاوم درجة الرطوبة . انظر : - حسن الباشا : سواحل مصر الشمالية في الفن الإسلامي ص ٤٤١ ، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٢٠٠ (تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور) الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠١م .
(٢) سعاد ماهر : العمارة الإسلامية عبر العصور ، ج ١ ص ٧١ ، دار البيان العربي ، الرياض ١٤٥٥هـ / ١٩٨٥م .
(٣) حسن عبد الوهاب : البناء بالطوب في العصر الإسلامي ص ٢٢٦ ، ٢١٩ ، مجلة العمارة عدد ٤٢٣ ، القاهرة ١٩٤٠م .

وانتشر بعقود العمائر الدينية بالبحيرة . العقد المدبب الخموس ، وهذه العقود كانت تحمل الأسقف .

أما أسقف هذه العمائر التي ترجع للقرن ١٢هـ / ١٨م فانتشر بها نوعان من الأسقف أولهما السقف الخشبي البسيط المكون من عروق خشبية تعلوها وتقاطع معها الخواج خشبية مسطحة . وقد ساد هذا النوع من الأسقف في غالبية المساجد . أما النوع الثاني من الأسقف فهو عبارة عن قباب ضحلة وذلك نشاهده في أسقف مسجدي الجندي والمشيد بالنور برشيد ومن قبلهما أسقف جامع زغلول برشيد أيضاً (ق ١٠هـ / ١٦م) .

أما الأضرحة فكانت تغليها قباب متنوعة الأشكال والأحجام فمنها القباب الضخمة والخالية من أي زخرفة مثل قبة ضريح الصامت برشيد ، ومنها القباب صغيرة الحجم الملساء أيضاً . ومن حيث الشكل والزخرفة فقد وجدت قباب مفصصة مثل قباب أبو الرئش .

أما من حيث المادة التي شيدت به هذه القباب فقد بنيت من الآجر ومونة القصرم إلا أنه توجد قباب خشبية مثل ما هو موجود في قبة ضريح الشيخ تقا ١١٤٢هـ برشيد^(١) .

ولقد وجدت بمساجد القرن ١٢هـ / ١٨م منابر خشبية متنوعة الزخارف الهندسية ونفذت هذه المنابر بأسلوب التجميع والتعشيق . كما وجدت على بعضها نصوصاً كتابية تأسيسية أو دينية مثلما هو موجود على مدخل منبر جامع دو مقسيس ومنبر جامع الجندي

(١) محمود برويش : عمائر رشيد ص ٢٢٣ ، ٢٥٩ " " المساجد الأثرية ص ١٢٢

ومئير جامع الشيخ تقا برشيد . ولم يثبت وجود أي منبر رخامي بمساجد القرن ١٢هـ / ١٨م بالبحيرة .

ومحاريب مساجد القرن ١٢هـ / ١٨م بالبحيرة بنيت بالأجر وغطيت بزخارف متنوعة منقذة في الجص أو بالطوب المنجور ، كما أن بعضها كسى مع جدار القبلة ببلاطات القاشاني الجميلة ذات التأثيرات التركية والمغربية وأبرز مثال على ذلك محراب جامع دومقسيس برشيد وجدار القبلة كله . كما علت هذه المحاريب كتابات قرآنية تشير إلى القبلة منقذة بخطوط متنوعة .

ومآذن المساجد التي ترجع للقرن ١٢هـ / ١٨م بالبحيرة ساد بها الطراز المصري الأم حيث لا توجد مئذنة واحدة تتبع الطراز العثماني الصرف ، وإضا كل المآذن التي ترجع لهذا القرن تأثرت بطراز الدلتا .

وكانت هذه المآذن تقوم على قاعدة مربعة يعلوها بدن مئمن ينتهي بشرفة الأذان التي يخرج منها بدن اسطوانتي تعلوه رقبة المئذنة المفصصة وتغليها قمة المئذنة التي تشبه البخرة . وقد تكونت بعض المآذن من بدنين مئمنين وثلاث شرفات للأذان مثل مئذنة جامع الجندي برشيد . ومن قبلها المئذنة الشرقية لجامع زغلول برشيد أيضاً ، ومئذنة جامع أبوشوشة بديروط بحري (١١٠٨هـ / ١٦٩٦م) . ولا توجد أية نقوش كتابية على أبدان مآذن هذا القرن أو حتى على مداخلها .

ولقد زينت أبدان بعض هذه المآذن ببلاطات خزفية رائعة الزخرفة والتنفيذ مثلما هو موجود في مئذنة جامع دومقسيس .

هذه إطلالة سريعة على عمارة المنشآت الدينية الباقية من القرن ١٢هـ / ١٨م بالبحيرة والتي تركز معظم الباقي منها في مدينة رشيد وكان لها شأن عظيم في العصر العثماني .